الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

هل تقتل الفصاحة فينا ؟

أتيت في الأسبوع الماضي بفقرات من محاضرة الدكتور محمد كامل حسين التي ألقاها في حفلة استقباله بمجمع فؤاد الأول للغة العربية ، وفيها وصفه الانتاج الفكري الحديث في مصر بالهرولة ، وهو يعني أن أصحاب هذا الإنتاج لا يتأنون ولا يتمهلون للتمحيص والإجادة ، فهم مسرعون كأنهم مسوقون

ومن تلك الفقرات قوله : « وعلينا أن نقتل الفصاحة فينا فهي شكل محض ، وأن نتجاهل البلاغة فقد أصابنا منها شر كثير »

نريد أولا أن نعرف الفصاحة لنرى هل تستحق القتل ، وننظر في أمر البلاغة كذلك ولماذا نتجاهلها

الفصاحة هي أن يخلو الكلام من عيوب ليكون واضحا بينا عذبا ، ومن هذه العيوب أن تكون الكلمة ثقيلة على اللسان أو مكروهة في السمع أو غريبة وحشية غير مألوفة الاستعمال ، ومنها أن يقع في الكلام تعقيد ، أو تتنافر ألفاظ التركيب ، وقد مثلوا لذلك بأمثلة كثيرة ، منها كلمة « الجرشى » في قول المتنبي :

مبارك الاسم أغر اللقب كريم الجرشى شريف النسب

لأنها معجوجة لا يستريح إليها السمع ، ومنها الشطر الثاني من البيت الآتي :

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

لثقل تركيبه على اللسان ، ومنها قول الفرزدق :

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه

لتعقيده الناشئ من خلل النظم

أما البلاغة في الكلام فقد عرفوها بأنها مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته

فإذا جنت الفصاحة ليطالب الدكتور كامل حسين بإعدامها . . ؟ هل يريد أن نفقدها فنكتب كلاما متنافرا غريبا معقدا فنقول مثلا « كريم الجرشى » بدلا من « كريم النفس » ؟ وهل يريد أن نتجاهل البلاغة لنؤلف كلاما لا يلائم الأحوال ؟

أنا على يقين من أنه لا يريد ذلك ، وإنما يريد هكذا ، ولكنه « هرول » فسمى التشدق والتفاصح والإغراب وتكلف الإتيان بكلام يبهر الناس — فصاحة وبلاغة ، ثم « هرول » مرة ثانية فدعا إلى خنق الفصاحة والإعراض عن البلاغة

ولو روى قليلا لتجنب الوقوع فيما عابه ، ولبرئت محاضرته الرائعة من « الهرولة » ، ولعلم — ومثله جدير بأن يعلم — أن ما يدعو إليه هو نفسه ما يرمي إلى إحيائه والعمل به

مجلة الأزهر :

هذا أول عدد يصدره من مجلة الأزهر ، الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات بك صاحب « الرسالة » وقد جعل فيه لمجلة الأزهر رسالة أوضحها في مقاله الافتتاحي « عهد جديد » فهي الناطقة بلسان الأزهر ، « وليس الأزهر هذه البنايا ومن يعمرها من أساتذة وطلاب » إنما هو الإسلام ، و « ليس الأزهر إذن جامعا للصلاة كجامع عمرو ، ولا جامعة للعلم كجامعة فؤاد ، وإنما هو فضلا عن التعبد فيه والتعلم به رسالة ودعوة » فالمجلة إذن « تدعو إلى الله بالدعاء البين ، وتجادل عن دينه بالقول اللين ، وترفع صوت الأزهر نديا فوق هذه الأصوات النكرة التي تتخاطب بالحديد ، وتتجاوب بالوعيد » (١)

وهكذا جعل أستاذنا لمجلة الأزهر رسالة ، فحق لنا أن نطلق عليه « صاحب الرسالتين »

والهدف البارز الذي ترمي إليه المجلة في زيها الجديد الذي خرجت به على الناس في غرة شهر رمضان ، هو جلاء الثقافة الإسلامية وإبراز الفكر الإسلامي بصوره المختلفة من فقه وأدب واجتماع وفلسفة وتاريخ ، يتمثل ذلك في هذه المقالات التي كتبها رجال أستطيع أن أقول إنهم جميعا من الأزهر ، وهم ثلاثة

(١) ما بين علامات التنصيص فقرات من مقال الأستاذ الزيات بك

أنواع : أزهريون أفحاح كأصحاب الفضيلة الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الرحمن حسن والشيخ محمد محمد المدني ، وأزهريون نشأوا في الأزهر ثم فصلوا عنه وأخذوا بألوان أخرى من الثقافة والحياة ، كالدكتور طه حسين باشا والأستاذ صاحب الرسالتين ، وأزهريون اتصلوا بالثقافة الأزهرية عن طريق الاطلاع والأخذ عن شيوخه كما قال شوقي يخاطب الأزهر :

ماضرني أن ليس أفقك مطلعي وعلى كواكبه تعلمت السرى

ومن هؤلاء الأستاذ العقاد والأستاذ فريد أبو حديد بك

ويحوي العدد إلى جانب مقالات أولئك الأقطاب أبوابا يقتضيها الفن الصحفي مثل « الآداب والعلوم في شهر » و « أنباء العالم الإسلامي » و « النشاط الثقافي للأزهر »

ويعد فلي ملاحظات على هذا العدد من مجلة الأزهر ، لا أرى مكانا من أستاذتنا مانعا من إبدائها ، وطالما فسح لنا في نقد الآخرين . .

١ — ظهر هذا العدد في غرة شهر رمضان ، وليس به شيء عن شهر رمضان ، والعالم الآن يسمع من « صوت أمريكا » أحاديث عن الصوم وما يتصل به ، ولا بد أن الأحاديث التي سجلت بالسفارة الأمريكية لخمسة من علماء الأزهر بمناسبة الصيام تلقى الآن في الولايات المتحدة ، فلم يكن ينبغي أن تخلو مجلة الأزهر من شيء في هذه المناسبة

٢ — تبويب المجلة متنوع مفتق ، ولكن الباب الأول « في الدين والفقه » كنت أفضل أن يكون « في فقه الدين » . وقد نشرت مقالة الدكتور طه حسين باشا في باب « اللغة والأدب » وإنما هي تاريخ . وما نشر في باب « طرائف علمية وأدبية » لا يختلف في شيء من موضوعات « العلوم والآداب في شهر » . ويظهر أن بابي « ما يقال عن الإسلام » و « النشاط الثقافي للأزهر » كتبهما كاتب واحد ، فهو موالع بالمقدمات وقد بدأ كلا منهما بـ « تمهيد » مما كان أولى منه بالعناية الموضوعات نفسها

٣ — أهمس لبعض الكتاب : أن جددوا ولا تكرروا قول ما قلتموه من قبل . والمجلة تجزيكم فلا بأس أن تحملوا أنفسكم على شيء من التعب

مثال من الأدباء المضبعين

« دخل حضرة محمد شوقي أمين أفندي خدمة مجمع فؤاد الأول للغة العربية منذ إنشائه في سنة ١٩٣٤ بمكافأة شهرية بلغت الآن ثمانية جنيهات ، وهو على جانب كبير من الثقافة الأدبية واللغوية ، وله من سعة الاطلاع ما يقوم مقام الشهادات العلمية ، وقد استطاع أن يقوم بأعمال فنية كالتحرير في مؤتمر المجمع ومجلته ولجانه بكفاية وإخلاص وجدارة وامتياز ، مما يستوجب إنصافه وتشجيعه وحسن تقديره »

هذه فقرة من مذكرة رفعتها وزارة المعارف إلى مجلس الوزراء سنة ١٩٤٦ لإنصاف أديب أقرت له بالكفاية والجدارة والامتياز ، وطلبت لتشجيعه وحسن تقديره منحه الدرجة السابعة بأول « مربوطها » وهو عشرة جنيهات ، ووافق مجلس الوزراء على ذلك

وفي خلال ثماني السنوات التي تلت ذلك التاريخ إلى الآن منح الدرجة السادسة ثم الخامسة فصار مرتبه خمسة وعشرين جنيها

ولم يكن ذلك القرار ومانلاه «استثناء» ، وإنما كان لتسوية حالته وفقا للقواعد المقررة والأسس المالية لمعاملة الموظفين دون تخط أو زيادة ، كما جاء في مذكرة معالي رئيس المجمع التي رفعها أخيرا طالبا فيها استدراك الخطأ الذي وقع

والذي وقع هو أن إدارة المستخدمين بوزارة المعارف رأت أنه ينطبق عليه قانون إلغاء الاستثناءات

الأستاذ شوقي أمين الأديب اللغوي الذي كان يشغل عالم الأدب واللغة من نحو ربع قرن بكتاباته في المجلات والصحف أيام كانت الصحف تعنى بالأدب واللغة ، والذي آثر في السنوات الأخيرة أن يعمل في خدمة اللغة والأدب جنديا مجهولا ، وقد استهلك مجمع اللغة ثمانية عشر عاما ، والذي هو على جانب كبير من الثقافة الأدبية .. الخ ، ذلك الأديب تضيق الدولة به ، لأنه لا يحمل شهادات عالية ، فتنكبه في رزقه ورزق أسرته . وتعود به إلى الوراء منذ دخل المجمع موظفا على غير درجة بعشرة جنيهات في الشهر